مؤسسات

ثلاثة عشر عاماً من العطاء المتواصل

جمعية الثقافة والفكر الحر.. صرح مجتمعي لخدمة المرأة والطفل

غزة/اعتماد رزق نصر الله

انطلاقاً من الأهمية القصوى التي توليها المؤسسات والجمعيات الحكومية والأهلية العاملة في مجال تطوير المرأة والطفل الفلسطيني من خلال تنظيم النشاطات التي تساهم في رفع مستواهم وتطوير قدراتهم للأفضل، كان لجمعية الثقافة والفكر الحر تجربة رائدة ومميزة في هذا المجال، لا سيما في مجال المخيمات الصيفية.

وللوقوف عن كثب على ما تقوم به الجمعية في هذا المجال، ولإلقاء الضوء على نشاطات الجمعية في جوانب ومجالات أخرى، كان لـ«البيدر»، هذا اللقاء مع مديرتها مريم زقوت التي قالت: إن الجمعية ومنذ نشأتها في العام ١٩٩١، كرست جل اهتماماتها بالأطفال، وذلك كونهم الأكثر تأثراً بشكل سلبي من ممارسات الاحتلال خلال الانتفاضة الأولى.

وأضافت زقوت أنه من اللحظات الأولى التي بدأ فيها العنف الإسرائيلي ينعكس على سلوك الأطفال وتحصيلهم الدراسي ووضعهم النفسي، جاءت الفكرة التي جسدتها مجموعة من النساء اللاتي لهن باع طويل في المجال السياسي والاجتماعي، وهي كيفية العمل على إنقاذ أطفال فلسطين كي يعيشوا في ظروف يستطيعون فيها أن يتكيفوا مع العنف الذي يمارسه الاحتلال .

وتابعت تقول إنه ومن هنا كان الاتفاق على إيجاد مكان آمن وهادئ للأطفال بعيداً عن الأجواء النظامية في المدرسة والمناخ الصعب في الشارع والظروف المعقدة في البيت، بمعنى أن يجد الطفل متنفساً لطاقاته وإبداعاته، وبيئة آمنة للعب الجماعي مع الأصدقاء في ظل تلك الظروف الصعبة.

وأشارت إلى أن مراكز الجمعية المتعددة، هي بمثابة حلقة ثقافية متكاملة، موضحة أن من هذه المراكز، مركز الشروق والأمل، ومركز بناة الغد، وبرنامج الإقراض النسائي، ومركز صحة المرأة.

ولفتت إلى أن مركز الشروق والأمل يعتبر مركزاً تربوياً ترفيهياً تعليمياً للأطفال من سن ٦إلى ١٢سنة، قائلة: إنه يهدف إلى استكمال عملية التربية والتواصل مع الأطفال، كما أنه يعتبر بيئة جيدة لنمو الأطفال، ويساعدهم على التطور كل حسب ما لديه من مخزون ومواهب وقدرات وإبداعات، لا سيما أنه مكان للبناء والمشاركة والعطاء والتكامل الطفولي لما يحتويه من زوايا عديدة تثير اهتمام الأطفال وترفه عنهم وتسد وقت فراغهم.

وفي مجال المخيمات الصيفية والتشبيك مع المؤسسات، قالت زقوت إنه انطلاقاً من تجربة الجمعية الرائدة في هذا المجال والتي خاضتها على مدى الثلاثة عشر عاماً الماضية، استطاعت الجمعية انجاز الكثير، حيث انطلقت بمخيمها العاشر الذي تنظمه بمفردها، ومخيمها الثاني الذي تنظمه بالتعاون مع ٢٥ مؤسسة مجتمعية من المنطقة الجنوبية.

وذكرت أن مخيمات الجمعية تختلف بشكل جذري عن المخيمات الأخرى، وذلك لانتهاج المؤسسة اسلوباً يعتمد في كل خطوة على المشاركة والتعلم النشط، بجانب أن المخيمات تهدف بالأساس إلى توفير جو من الراحة والطمأنينة للأطفال والفتيان والفتيات، كي يحبوا طفولتهم للتعبير عن أنفسهم.

وأضافت أنها تتضمن عدداً من الفعاليات منها، برامج ترفيهية مثل الحفلات اليومية، والرحلات، والتخيم الليلي، والمسابقات الثقافية، بالإضافة إلى البرامج الثقافية التعليمية التربوية حول حقوق الطفل، كما تضم أيضاً برامج تنشيطية ترفيهية مثل ورشات فن تشكيلي، وألعاب كبرى، وألعاب لولبية، والأنشطة الرياضية، فضلاً عن عدد من العروض المسرحية، والسينمائية المنتجة من قبل الفتيان والفتيات أنفسهم.

وحول ما تقوم به الجمعية من نشاطات أخرى للأطفال، نوهت زقوت إلى أنه تم تنظيم مسيرة كرنفالية ضخمة ضمت أكثر من ٣ آلاف طفل وفتى وفتاة من مختلف الفئات العمرية، ومن مختلف المؤسسات المشاركة، وذلك تعبيراً عن انطلاقة المخيمات الصيفية.

وبينت زقوت أن مركز الشروق والأمل التابع للجمعية، والذي يعتبر غذاء للروح وتنمية للمواهب، يضم بين جنباته العديد من الأنشطة والفعاليات التي تعطي الطفل فرصة التعبير عن نفسه، وتمكنه من تحمل المسؤولية، حيث يحتوي على ٣ آلاف كتاب من مختلف أنواع الكتب التي تهم الطفل، بجانب أن المكتبة تقدم العديد من البرامج والأنشطة المتنوعة للأطفال من خلال القراءة الحرة، وعرض أنشطة ترفيهية وتربوية وورشات عمل لتطوير الإبداع عند الطفل.

وأوضحت أن الزاوية الثانية هي زاوية الفن التشكيلي، والتي تعتبر من الزوايا المحببة التي يتردد عليها الأطفال بصفة دائمة من أجل الرسم والتعبير والتلوين، مشيرة إلى أن هذه الزاوية يتردد عليها يومياً ٣٠ طفلاً، كما أن هناك زاوية ثالثة هي زاوية الألعاب الداخلية والتي أُنشئت عام ٩٢، حيث تحتوي على ٢٣٠ لعبة متنوعة ومصنفة إلى أقسام.

ولفتت إلى أنه من هذه الأقسام، قسم الألعاب الرمزية، وبيت الطفل السوبر ماركت، وقسم لخشب الكابلاه والذي يهدف إلى تطوير قدرات الطفل العقلية ويتيح أمامه فرصة التخيل والتمثيل، موضحة أن هذا القسم يتردد عليه نحو ٧٠ طفلاً يومياً، في حين أن الزاوية الرابعة هي زاوية الألعاب الخارجية، والتي تعتمد في الأساس على تنشيط وتفريغ ومرح، تضفي على الأطفال متعة وسروراً وحيوية،حيث إن هذه الألعاب تنقسم إلى العاب نظامية مثل دوري كرة القدم، وسباق الضاحية، وألعاب جماعية وتراثية، وألعاب تفريغ.

وتابعت تقول: إنه في حين إن الزاوية الخامسة وهي قسم الموسيقى، تهدف إلى تنمية الحس الفني والتذوق الجماعي عند الأطفال، فالزاوية السادسة والأخيرة وهي زاوية الفنون الشعبية تهدف إلى اكتشاف وتنمية المواهب والقدرات ودعم وترسيخ التراث الفلسطيني والهوية الفلسطينية، مشيرة إلى أن هذا القسم يشارك في الفعاليات والأنشطة على الصعيد المحلي والدولي.

وفي السياق ذاته بينت زقوت أن الطفل الفلسطيني الذي هو بحاجة ماسة إلى بناء شخصيته، يحتاج إلى أساليب وطرق مختلفة للوصول إلى ذلك من خلال وضعه في محور العملية التربوية، حيث من الضروري جعله يبتكر ويبحث ويعيش التجربة، والتي هي من أنجع الطرق والأساليب للاكتساب والتطوير.

وأضافت أنه ومن هذا المنطلق فإن فلسفة جمعية الثقافة والفكر الحر التي تنتهجها عبر برامجها هي ضرورة تفعيل دور الفرد والمجتمع، موضحة من هنا كانت رؤية المؤسسة في سبيل تحقيق ذلك عبر الطفل أولاً من خلال الأنشطة التي تساعده على البحث والتجريب وتحمل المسؤولية للوصول إلى الهدف.

وقالت إنه وفي هذا الإطار فإن المؤسسة اهتمت بعملية التشبيك والتنسيق مع المجتمع المحلي وتفعيل المؤسسات الأهلية في مناطق جنوب قطاع غزة، وتدعيم دورها، موضحة أنها طورت برامج للتشبيك مع هذه المؤسسات، فأصبحت الآن تعمل مع أكثر من ٤٥ مؤسسة أهلية في برامج مختلفة منها مشروع وصال، ومشروع مرام من طفل إلى طفل، ومشروع تملين للقيادات الشابة، هذا بالإضافة إلى ٢٥ مخيماً صيفياً تقوم المؤسسة حالياً بتنفيذها.

إلى ذلك لفتت زقوت إلى ما يقدمه مركز بناة الغد لتطوير القدرات والتعبير عن الذات، والذي يخدم الأطفال من سن ١٢ إلى ١٦ عاماً، مشيرة إلى أن هذا المركز يهدف إلى المساهمة في بناء وتنمية شخصية الفتيان والفتيات من خلال إعطائهم مساحة من الحرية المسؤولة ليلعبوا دوراً فاعلاً ومشاركا في المجتمع الفلسطيني.

وأشارت إلى أن فلسفة المركز تتمثل في إشراك الفتيان والفتيات في عملية التخطيط والمتابعة للأنشطة، والاحترام المتبادل بين الجنسين مع بعضهم البعض من جهة، ومع المنشطين والمنشطات من جهة أخرى، والالتزام في ممارسة الأنشطة والتي يهدف المركز من ورائها إلى تعزيز الجانب الثقافي والتربوي، وبناء علاقات اجتماعية قائمة على الاحترام المتبادل والتمسك بالقيم النبيلة والأصيلة في المجتمع الفلسطيني، وإتاحة الفرصة للتعبير عن الذات.

وأمام ذلك كله، لابد من البحث عن إجابة لتساؤلات العديد من الفئات المهمشة التي تعيش في المناطق النائية، لا سيما الحدودية منها، والتي لا تصلها مثل هذه النشاطات، وهو أين نحن من كل ذلك؟، ومتى سنكون على أجندة هذه المؤسسات التي تبحث عن الأسهل لتنفيذ برامجها ونشاطاتها؟.